بناء الممالك

درس في حياة الدكتور بينس واعماله

٣

ليس من المستطاع في مقال كهذا ان نسهب القول في سيرة الدكتور بينس المدهشة . فقد شبهه كثيرون بالسياسي الانكليزي الشهير بت (Pitt) بسرعة تقدمه على حداثة سنه . ولا شك ان اثره سيبقى في سياسة بلاده كما بقي اثر بت في سياسة انكلترا وحياتها العمومية . ومع ذلك فهو بعيد عن الدعوى ومعيشته تصح ان تكون مثالاً يقتدى به ومقدرته على الشغل تفوق ما ينسب الى الاساتذة الالمان من الصبر وطول الاناة في البحث والتنقيب . ينهض في الساعة السابعة صباحاً ويشتغل شغلاً متواصلاً الى ساعة متأخرة في الليل ولو لم يكن ذا بنية قوية وصحة جيدة لما استطاع السير على هذا المنوال في عمله الماضي . اكله قليل ولا يتعاطى المشروبات الروحية ويهتم بالرياضة البدنية لتجديد قواه واراحة عقله وكثيراً ما يرى في دار التنس يلعب مع سفير انكلترا في ساعة باكرة من الصباح

دهش الناس للانتصارات الباهرة التي احرزها الدكتور بينس في ميدان السياسة الاوربية وخصوصاً في لندن وباريس وروميه . والحقيقة ان لا محل للدهشة لان استعداده يفوق استعداد اي سياسي آخر في دونتغ ستريت[1] او الكاي دورساي[2] . فعدا العلوم الكثيرة اللازمة للسياسي التي درسها ودرّسها وعدا لغته يتكلم اللغات الفرنسوية والالمانية والروسية والطليانية والانكليزية بسهولة

وهو من انصار المفاوضات السياسية العلنية لكنه يعرف ان يجب الصمت فيصمت ويصغي . يحتقر المفاوضات السرية لانها في كثير من الاحيان حجاب لجهل المتفاوضين وعدم كفاءتهم . وقد كسبت له الصراحة في المفاوضات صداقة نفر من كبار الساسة في اوربا وثقتهم لانه اذا قال كلة حافظ عليها واذا وعد وعداً برّ به ولو خسر بعض مناصريه في مجلس بلاده

على ان اعماله لا تخلو من مواضع الضعف فهو رجل حزبي لانه انتخب للبرلمان كعضو في الحزب الوطني الاشتراكي ولذلك تمركزه في الحكومة رهن الاكثرية

(١) مركز رآسة الوزراء في انكلترا (٢) مركز وزارة الخارجية في باريس

التي تحكم مجلس النواب . لكن مساعيهُ المحمودة التي جعلت لدولته ذكراً حميداً لدى دول اوربا الكبرى تجعلهُ من الرجال الذين لا يُستغنى عنهم بسهولة في ادارة تشكوسلوفاكيا وسياستها الخارجية . الاَّ ان مبادئهُ الاشتراكية المعتدلة جعلت لهُ من المانيين القصيري النظر مقاومين لا يستهان بهم وتسليمهُ يمنح بعض الامتيازات الى الاقلية الالمانية لنيل عطفها ومعاونتها جعل الوطنيين التطرفين يبغضون عليهِ فركزهُ اذاً في سياسة بلادهِ الداخلية ليس لهُ من القوة والمنعة ما لمركزهِ في السياسة الخارجية

على ان الرئيس ماسريك يعضد تلميذهُ ورئيس وزرائهِ بكل قوته ولا شك في ان الصداقة التي نشأت بين هذا الفيلسوف الكهل وتلميذهِ الشاب المتقد غيرة واقداماً والتعاون بينهما كانا من اكبر العوامل في تحرير الامة التشكية. فالرئيس ماسريك محبوب من جميع الشعب وما زال رئيساً للجمهورية فهو لا يفترق عن مساعده القدير الاَّ مرغماً

ويحسب البعض ان الدكتور بينس ليس سوى آلة تحركها فرنسا وذلك خطأ. نعم ان كثيراً من نجاح بينس في مهمتهِ يعود الفضل فيهِ الى فرنسا وعليهِ كسياسي محنك ان يحسب حساباً للجيش الفرنسوي اكبر الجيوش الاوربية واقواها ومع ذلك فسياستهُ تشكية صميمة تستمد قوتها من حاجات البلاد ومطالبها واهم هذه المطالب استتاب الامن وتوطيد السلام في الدول المجاورة وخصوصاً في المانيا لانها لازمة كل اللزوم لنهوض تشكوسلوفاكيا التجاري. والذين يعرفونهُ يقولون انهُ لن يخوض غمار حرب ارضاء لفرنسا لانهُ رجل سلم ويثق كل الثقة بجمعية الامم ومستقبلها وهو من اكبر انصارها وانصار العاملين على تحديد السلاح في اوربا اوتزعهِ. فاوربا مدينة لهذا الرجل ديناً كبيراً اخذ يعترف بهِ رجال السياسة حتى اعداؤهُ فان شهرتهُ بلغت شأواً بعيداً في اوربا الوسطى واخذ الالمان يعترفون لهُ بمقدرتهِ وبعد نظرهِ وحتى زعماء الجمهورية المجرية عدوة بلادهِ الطبيعية يحترمونهُ ويضنون بهِ ان يستقيل من منصبهِ. ومهما يكن مستقبلهُ السياسي فالتاريخ قد افسح لهُ مكاناً رحباً في صفحاتهِ الخالدة وما من سياسي في اوربا يستطيع ان يراجع اعمالهُ ويشعر بمثل الغبطة التي يشعر بها بينس . فلقد قاد امتهُ في عواصف ثائرة من الحقد والبغضاء كربان ماهر . وكسب الشعب غير خبير في الامور السياسية والادارية مكاناً رفيعاً في مجالس الدول وعمل ما لم يعملهُ سياسي آخر لتعمير اوربا الوسطى وانتشالها من انياب الفوضى والبولشفية